محاضرة: أسلوب الأمر (تعريفه، صِيَغُه، وأغراضه البلاغية)

المادة: البلاغة العربية (علم المعاني) الموضوع: الإنشاء الطلبي (الأمر)

أولاً: مقدمة في تعريف الأمر وشروطه

1. التعريف:

الأمر هو أحد أقسام "الإنشاء الطلبي"، ويُعرّف في الاصطلاح البلاغي بأنه:

"طلبُ حصولِ الفعلِ من المخاطبِ على وجهِ الاستعلاءِ والإلزام".

2. شروط الأمر الحقيقي:

يتضح من التعريف السابق أن "الأمر الحقيقي" لا يتحقق إلا باجتماع شرطين أساسيين، هما:

- أ. الاستعلاء (العلو):

وهو أن يكون الآمر (المتكلم) أعلى رتبةً ومنزلةً من المأمور (المخاطب).

- **أنواع الاستعلاء:**

1. **استعلاء حقيقي:** كأمر الله للعباد، أو أمر الأب لابنه.
2. **استعلاء اعتباري (أو ادعائي):** وهو أن يرى المتكلم نفسه في مقام الآمر وإن لم يكن كذلك في الواقع الاجتماعي المطلق، أو أن يمنحه "القانون" هذه السلطة.

- *مثال توضيحي:* "شرطي المرور"؛ فهو يصدر أمراً بإيقاف سيارة يقودها شخص قد يكون أعلى منه رتبة اجتماعية (كوزير أو قائد)، ومع ذلك يتحقق "الاستعلاء الوظيفي" الذي يمنحه حق إصدار الأمر، ويجب على المخاطب التنفيذ.

- ب. الإلزام:

وهو أن يكون تنفيذ الفعل واجباً ومحتّماً على المخاطب، لا خيار له فيه.

نتيجة: إذا اختل شرط "الاستعلاء" أو "الإلزام"، خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى **معانٍ مجازية (بلاغية)** تُفهم من السياق، وهو ما سنفصله في المحور الثالث.

- مثال للأمر الحقيقي (توفر الاستعلاء والإلزام):

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (النور: 56).

فالأمر صادر من الخالق (استعلاء)، والفعل واجب التنفيذ (إلزام).

- مثال لغياب الإلزام (خروج عن الحقيقة):

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾. (البقرة: 187).

الأمر هنا (كلوا واشربوا) ليس للإلزام (إذ لا يجب الأكل طوال الليل)، بل هو للإباحة.

ثانياً: صِيَغ الأمر الأربع

للأمر في اللغة العربية أربع صيغ قياسية تدل عليه، وهي:

1. فعل الأمر

وهو الصيغة الأصيلة والأكثر شيوعاً واستعمالاً.

- **الشاهد القرآني:** قوله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾**.

2. الفعل المضارع المقترن بلام الأمر

وهنا تدخل "لام الأمر" الجازمة على الفعل المضارع، فتقلب معناه من الإخبار إلى الطلب.

- **الشاهد القرآني (1):** قوله تعالى: **﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**. (قريش: 3-4).
- **الشاهد القرآني (2):** قوله تعالى: **﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾**. (الطلاق: 7).
- **الشاهد الشعري:** قول المتنبي يمدح سيف الدولة ويحث الجيش على الاقتداء به:

كَذَا فَلْيَسْرِ مَنْ طَلَبَ الأَعَادِي ... وَمِثْلَ سُرَاكَ فَلْيَكُنِ الطِّلَابُ

(موطن الشاهد: "فليسرِ"، "فليكن"؛ أفعال مضارعة اقترنت بلام الأمر).

3. اسم فعل الأمر

هي كلمات مبنية تدل على معنى فعل الأمر وتعمل عمله (ترفع فاعلاً وتنصب مفعولاً)، ولكنها لا تقبل علاماته.

- **أمثلة:** (عليك: الزم)، (إليك: خذ أو تنحَّ)، (رويدك: تمهّل)، (آمين: استجب)، (حيَّ: أقبل).
- الشاهد القرآني: قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾**. (المائدة: 105).

(معنى "عليكم أنفسكم": الزموا أنفسكم وأصلحوها).

- **الشاهد الشعري:**

رُوَيْدَكَ مَنْ أَمْحَضْتَهُ الْوُدَّ صَافِياً ... إِذَا مَا هَفَا حَتَّى يَظَلَّ أَخَا لَكَا

(الشاهد: "رويدك" اسم فعل أمر بمعنى أمهِلْ).

4. المصدر النائب عن فعل الأمر

وهو أن يُحذف فعل الأمر ويُذكر المصدر دالاً عليه، وذلك للإيجاز والمبالغة وتأكيد المعنى.

- **الشاهد القرآني (1):** قوله تعالى: **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**. (البقرة: 83). التقدير: أحسنوا بالوالدين إحساناً.

- **الشاهد القرآني (2):** قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾. (محمد: 4). التقدير: فاضربوا الرقاب.
- **الشاهد الشعري:** قول قطري بن الفجاءة يخاطب نفسه في المعركة:

فَصَبْراً فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْراً ... فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(الشاهد: "صبراً" مصدر ناب عن فعل الأمر "اصبري").

-ثالثاً: الأغراض البلاغية (المجازية) للأمر

الأصل في الأمر أن يكون للإلزام والاستعلاء، ولكن قد تمنع **القرائن السياقية** (حال المتكلم والمخاطب) إرادة المعنى الحقيقي، فيخرج الأمر إلى أغراض بلاغية، نذكر منها ما ورد في المحاضرة:

1. الدُّعاء

يتحقق هذا الغرض عندما يكون الأمر صادراً من الأدنى رتبة إلى الأعلى رتبة.

في هذه الحالة، يستحيل أن يكون الأمر للإلزام أو الاستعلاء (تأدباً مع الله أو مع من هو أعلى مقاماً)، فيتحول المعنى إلى الطلب والتضرع.

- **من العبد إلى ربه:**
  - قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا**﴾. (نوح: 28).
  - قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾. (البقرة: 286).

(الأفعال: اغفر، اعف، ارحم... كلها صور أمر غرضها الدعاء).

- **من الأدنى إلى الأعلى (بشر):**
  - قول المتنبي يخاطب سيف الدولة (الملك):

أَخَا الجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ ... وَلا تُعْطِيَنَّ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ

(الشاهد: "أعطِ" فعل أمر، لكنه موجه من الشاعر إلى الملك، فالغرض هو الدعاء والرجاء، وفيه حثّ مبطن على الكرم الفعلي).

2. الالتماس

يتحقق هذا الغرض عندما يكون الأمر صادراً من مساوٍ إلى مساويه في الرتبة والمكانة (كالصديقين، أو الأخوين).

هنا ينتفي الاستعلاء، ويكون الطلب برفق ومودة.

- **الشاهد الشعري (امرؤ القيس):**

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

(الشاهد: "قفا" أمر موجه لصاحبيه، فالرتبة متساوية، لذا فالغرض الالتماس).

- **الشاهد الشعري (أبو سلمى - عبد الكريم الكرمي):**

يَا أَخِي أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ دَرْبٍ ... فاحملِ الجرحَ وسِرْ جنباً لجنبِ

(الشاهد: "احمل، سِر"؛ نداء "يا أخي" وقرينة المساواة تجعل الأمر للالتماس).

- **الشاهد الشعري (البارودي في منفاه بسرنديب):**

يَا نَدِيمَيَّ مِنْ سَرَنْدِيبَ كُفَّا ... عَنْ مَلامِي وَخَلِّيَانِي وَمَا بِي

(الشاهد: "كُفَّا"، "خلّياني"؛ يخاطب رفيقيه (نديميه)، فالأمر هنا للالتماس).

الأغراض المجازية للأمر:

نكمل الحديث عن المعاني البلاغية لأسلوب "الأمر" في علم المعاني، بعد أن تم تناول "الدعاء" (من الأدنى للأعلى) و"الالتماس" (بين المتساويين) سابقًا .والان نذكر بعض الأغراض البلاغية الأخرى التي يخرج إليها الأمر على النحو التالي:

أولًا: التمني يخرج الأمر إلى معنى التمني عندما يوجه الخطاب لما لا يعقل، حيث لا يتوقع المتكلم استجابة فعلية، وإنما يعبر عما يجيش في نفسه.

•شواهد:

◦ قول عنترة" *بيا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي* ."الأمر (تكلمي، عمي، اسلمي) موجه للدار وهي غير عاقل، فالغرض هو التمني.

◦ قول امرئ القيس" *ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل* ."يخاطب الليل ليزول عنه، معبرًا عن ثقل الهموم التي شبهها بجمل يبرك على صدره، فالأمر (انجلي) للتمني لأنه يخاطب ما لا يعقل.

◦ قول ابن زيدون" *بيا نسيم الصبا بلغ تحيتنا* ."...يخاطب النسيم ليعبر عن حبه وشوقه، وهو تمنٍّ لعدم إمكانية تحقق الأمر واقعيًا.

ثانيًا: التعجيز يخرج الأمر للتعجيز عندما يُطلب من المخاطب فعل شيء لا يقدر عليه لإظهار ضعفه وعجزه.

•شواهد:

◦ قول الشاعر" *أروني بخيلًا طال عمرًا ببخله ... وهاتوا كريمًا مات من كثرة البذل* ."يطلب الشاعر دليلًا مستحيلًا لإثبات أن البخل لا يطيل العمر والجود لا يقصره.

- الآية الكريمة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾. الأمر هنا ليس للإلزام بل لإظهار عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن.

- الآية الكريمة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾. الغاية إظهار ضعفهم أمام قدرة الله.

ثالثًا: النصح والإرشاد يكون الأمر للنصح عندما لا يكون فيه استعلاء ولا إلزام، بل يحمل فائدة للمخاطب وقيمًا أخلاقية.

•شواهد:

- قول الشاعر: شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كانت من أهل المشورات

دعوة للاستشارة عند المصائب.

- قول الشاعر: واخفض جناحك إن منحت إمارة ... وارغب بنفسك عن ردى اللذات

نصيحة للحكام بالتواضع وعدم الانجراف وراء الشهوات والمناصب.

- قول الشاعر: فانهض إلى صهوات المجد معتليا ... فالباز لم يأو إلا عالي القلل

حث على علو الهمة وشبه المجد بمكان عالٍ لا يألفه إلا الصقر (الباز)

وفي حديث يُروى عن أمير المؤمنين: " أحسن إلى من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمّن شئت تكن نظيره" ففي هذا الحديث دعوة للإحسان والاستغناء عن الناس لحفظ الكرامة.

رابعًا: التحقير يخرج الأمر للتحقير لتقليل شأن المخاطب والاستخفاف بقدرته.

•شواهد:

- الآية الكريمة في قصة موسى والسحرة: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾. أمرهم بالإلقاء استخفافًا بسحرهم ليقينه أن الله سيبطله.

- قول الشاعر: فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير

تشبيه تهديد المخاطب بطنين الذباب.

- قول جرير للفرزدق" *فغض الطرف إنك من نمير*) "...أو كما ورد في الشرح "*خذوا كحلا* ("...واصفًا إياهم بصفات النساء تحقيرًا لهم.

- قول الشاعر" *أولئك آبائي فجئني بمثلهم* ."...تعجيز ممزوج بالفخر والتحقير للمقابل.

خامسًا: التهديد يُقصد به تخويف المخاطب مما سيترتب على فعله.

•شواهد:

- الآية الكريمة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. تهديد بالحساب والعقاب.
- قول الشاعر" *إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء* ."تهديد بأن سوء الخلق عاقبته وخيمة.

سادسًا: التسوية تكون عندما يتوهم المخاطب أن أحد الأمرين أفضل من الآخر، فيأتي الأمر ليبين تساويهما في النتيجة.

•شواهد:

- الآية الكريمة: ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾. تساوي الإنفاق في الحالتين في عدم القبول.
- قول المتنبي" :*عش عزيزًا أو مت وأنت كريم" في* هذا البيت تسوية وليس تخييرًا، لأن الشاعر يرى أن الحياة العزيزة تساوي الموت الكريم، أما الحياة الذليلة فهي ليست خيارًا أصلًا.

وقول الشاعر: أسِيئي بنا أو أحسني لا ملومةٌ ... لدينا ولا مَقْلِيّةٌ إن تقَلّتِ

فالشاعر هنا يساوي بين قولها الحسن او السيء فيه، ففي الحالتين هو لن يعذرها ولن يقيلها.

سابعًا: التخيير وهو أن يطلب المتكلم من المخاطب اختيار واحد من أمرين لا يمكن الجمع بينهما.

•شواهد:

- قول الشاعر: فَعِشْ وَاحِدَا أَوْصِلْ أخاكَ فَإنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ

يخيره بين العيش وحيدًا أو قبول الصديق بعيوبه، ولا يمكن الجمع بين الوحدة والصحبة المثالية.

- مقارنة ببيت آخر" *إما قرينًا وفيًا أمين الغيب أو عيشًا ألوفًا* ."هنا ينصح باختيار الصديق الوفي حصرًا أو الوحدة.

ثامنًا: الإباحة تكون عندما يظن السامع أن الفعل محظور، فيأتي الأمر لرفع الحرج وبيان السماح به.

•شواهد:

- الآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾. إباحة الأكل والشرب ليلًا في رمضان بعد أن كان المسلمون يتحرجون منه.
- قول أبي فراس الحمداني: فَقُلْ مَا شِئْت فِيَّ فَلِي لِسَانٌ ... مَلِيْئٌ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ رَطْبُ

يسمح لمحبوبته (أو سيف الدولة) بقول ما يشاء عنه من باب الحب والولاء المطلق.

خاتمة:

بهذا نكون قد استعرضنا مفهوم الأمر بشقيه الحقيقي والمجازي، وتعرفنا على صيغه الأربع، وكيفية تحديد الغرض البلاغي من خلال السياق والقرائن المحيطة بالكلام.